

## "العامل النفسي في التقديم والتأخير من منظور عبد القاهر الجرجاني" "The Psychological Factor in Submission and Delay case According to Abd AlQaher Al Jurjani"

آيات أحمد حسين كيوان<sup>(1)</sup>

<sup>(1)</sup>Ayat Ahmmad Husien Kiwan

[10.15849/ZJJHSS.230730.09](https://doi.org/10.15849/ZJJHSS.230730.09)

### الملخص

تعد قضية التقديم والتأخير من أكثر القضايا التي تناولها علماء اللغة، ربما لأنها تكثر في القرآن الكريم، أو أنها تخالف ما اتفق عليه العرب من أعمدة للنحو وقواعد للغة. وكان من الباحثة أنها بحثت في هذه القضية عند عالم خبير علماء اللغة والأدب بعلمه، وهو عبد القاهر الجرجاني الذي نظر لهذه القضية نظرة مخالفة عن سبقه في كتابه دلائل الإعجاز، محاولة منه لإثبات أن التقديم والتأخير لا يكون للأهمية فقط، إنما هناك عوامل أخرى ساعدت في ذلك. وتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي في دراسة جزئية التقديم والتأخير عند الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز من خلال دراسة ما قاله. ثم قامت بتحليل الأمثلة التي نكرها والمسائل التي تناولها. خلصت الباحثة إلى أن التقديم والتأخير لا يقف عند الأهمية فقط، بل هناك عامل نفسي عند المتكلم أو المتلقي قادر على التحكم في ترتيب الألفاظ وفق المعاني المرادة. الكلمات المفتاحية: العامل النفسي، التقديم والتأخير، دلائل الإعجاز، الجرجاني.

### Abstract:

The issue of foregrounding and backgrounding in words order has been extensively studied by linguists, perhaps due to its frequent occurrence in the Holy Quran or/and its deviation from the pillars of Arabic grammar and language major rules. The researcher focused on this issue in the work of Abd al-Qahir al-Jurjani, whose perspective differed from previous scholars through his book "Dala'el al-I'jaz," as he attempted to prove that foregrounding and backgrounding don't hold one side importance but also influenced by other factors as well. The researcher adopted a descriptive analytical approach in studying the partial aspect of foregrounding and backgrounding in al-Jurjani's book by analyzing his statements, examples, and addressed topics. The researcher concluded that foregrounding and backgrounding are not solely based on importance but are also influenced by psychological factors that allow the speaker or listener to control the arrangement of words according to the intended meanings.

**Keywords:** Psychological factor, foregrounding and backgrounding, Dalael al-I'jaz, al-Jurjani, linguists, Holy Quran

<sup>(1)</sup> Universal Islamic Sciences University,  
Faculty of Arts, Arabic Language, Linguistics  
\* Corresponding author: [Otoom\\_malik@yahoo.com](mailto:Otoom_malik@yahoo.com)  
Received: 29/01/2023  
Accepted: 10/04/2023

<sup>(1)</sup> جامعة العلوم الإسلامية العالمية، باحثة، الآداب،  
اللغة العربية، اللغويات  
\* للمراسلة: [Otoom\\_malik@yahoo.com](mailto:Otoom_malik@yahoo.com)  
تاريخ استلام البحث: 2023/01/29  
تاريخ قبول البحث: 2023/04/10

## المقدمة

تُعد قضية التقديم والتأخير من القضايا الأساسية في اللغة العربية، لأنه من الأركان المسؤولة عن بناء الجملة أولاً واستقرار معناها ثانياً. فقوة النص تعتمد بالبداية على آلية ترتيب الجملة وفق ما يعترتها من ألفاظ عامة، ومعان خاصة.

فالنص لا يُقوّم اعتماداً على صحته النحويّة فقط، إنما يُقوّم بالنسبة لعوامل أخرى ساهمت في اكتشاف آليات الإبداع في تركيبه وتركيب الجمل فيه، وكيف للمعاني القدرة في الربط بين الإحساس النفسي والدلالي في صناعته، وما للألفاظ من دور في التنقل بين المواقع حتى يكون المعنى أكثر بلاغة، وأقوى فصاحة. ولا بد لأي لغة أن يكون فيها نظام موصى به في قوانينها ومنهجها الذي يكتب به، ففي كل لغات العالم نسق معين في ترتيب الكلام لا يخالف النحو، ولا يخالف المعنى أيضاً، إنما وجد لغايات النظم. ولأن العربية تحافظ على نظام الرتبة في قوانينها كتقديم الفعل على الفاعل، والمبتدأ على خبره، فلا يتم أي تغيير إلا بقواعد مدروسة أو قضايا معترف بها بالعربية كقضية التقديم والتأخير ضمن عوامل محددة، فقررت الباحثة دراسة هذه القضية وفق معايير عند عبد القاهر الجرجاني، وكيف نظر إليه وحلله في كتابه دلائل الإعجاز.

## أهمية البحث

استطاعت العربية أن تعبر بشكل فائق عما في العقل والقلب، و بما في الطبيعة من أفكار مجتمعية وعواطف نفسية دون أن تستنفد قوتها، ومن هنا تكمن أهمية موضوع البحث في السعي وراء معرفة علاقة الجانب النفسي في النحو من خلال التقديم والتأخير وكيف تشكلت الدلالة عند عبد القاهر الجرجاني فيه. وذلك من خلال الكشف عن خصائص التقديم والتأخير في النظام النحويّ المكون لها، والجانب المتعلق بأحوال الكلمات في مواقعها المختلفة من التراكمات المتعددة، وأثر الجانب النفسي و الدلاليّ في كل تركيب من تركيبها.

## أهداف البحث

خدمة العربية وبيان أنّ التقديم والتأخير لا يتوقف على الأهمية فقط، إنما هناك جوانب مخفية حكمت في ذلك.

## سبب اختيار الموضوع

يرجع سبب اختيار الباحثة هذا الموضوع إلى:

أن هذه الدراسة تساهم في اطلاع الباحثين على آلية ربط النحو بالنفس وكيفية تشكّل التقديم والتأخير من منظور عبد القاهر الجرجاني.

## مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في الأسئلة الآتية:

- 1- هل هناك عامل نفسي في التقديم والتأخير عند عبد القاهر الجرجاني؟
- 2- كيف تعامل عبد القاهر الجرجاني مع التقديم والتأخير في الدرس النحوي؟
- 3- هل هناك عامل نفسي أثر في البعد الوظيفي للتقديم والتأخير؟

## الدراسات السابقة

من الدراسات السابقة التي قد تكون لها علاقة بهذا الموضوع وجدت الباحثة دراسات عديدة تذكر منها:

- بوضار، صورية، مقاصد التقديم والتأخير في دلائل الإعجاز، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2014.
- علي، علوش، ظاهرة التقديم والتأخير عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة اللغة العربية، الجزائر، ع3، م24، 2022.

- السديس، أحمد بن صالح، التقديم والتأخير عند عبد القاهر الجرجاني في كتابيه الأسرار والدلائل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، مجلة العلوم العربية، ع39، 1437هـ.

وتختلف الدراسات السابقة عن الدراسة الحالية بأنها لم تذكر شيئاً عن وجود العامل النفسي الذي قد يؤثر على التقديم والتأخير عند عبد القاهر الجرجاني.

## منهج البحث

تبعت الباحثة في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، حيث قامت بجمع ما قاله عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز عن التقديم والتأخير، ثم قامت الباحثة بتحليله وبيان الأثر النفسي فيه.

## التقديم والتأخير عند الجرجاني

للتقديم والتأخير مزايا عديدة في اللغة العربية، فقد يكشف هذا الجانب سعة العربية وقدرتها في تحصيل العنصر البلاغي بين المفردات واختلاف دلالاتها، وأوضح الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز عن فائدة التقديم والتأخير وثرائه في تحديد دلالات معينة، إذ قال: "هو بابٌ كثيرُ الفوائد، جُمَّ المَحاسن، واسعُ التصرف، بعيدُ الغاية، لا يزالُ يفتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويُفضي بك إلى لطيفةٍ، ولا تزالُ ترى شعراً يروكُ مسمُعه، ويُطْف ليدك موقعه، ثم تتطرُّ فتجدُ سبباً أن راقك ولطفَ عندك، أن قَدِم فيه شيءٌ، وحولَ اللفظُ عن مكانٍ إلى مكانٍ"<sup>(1)</sup>، ولعل كثير الفوائد إشارة من الجرجاني إلى أن هذه الطريقة تضيف الكثير من المعاني والأغراض. وقال أيضاً فيما يخصه: "إنه جيد بالغ، ولكن ينبغي أن يصرف مثل ذلك في كل شيء قدم في الكلام"<sup>(2)</sup>.

وقد عدّه الجرجاني من الفروع المهمة في نظرية النظم والمعاني النحوية، لأنهما من عناصر المعاني النحوية التي ذكرها عبد القاهر في الدلائل واستطاع من خلالها أن يوسع دائرة النحو، فتجاوز بذلك المفهوم الضيق القائم على معرفة الصواب والخطأ في الجملة، إلى ما يسمى بالنحو البلاغي الذي يكشف عن المعاني. وتبدو نظرية الجرجاني قادرة على تحقيق سلامة التركيب وأداء المعنى، كل ذلك يتم من خلال علاقة الكلمة بالنتي تليها على أساس النظم<sup>(3)</sup>. فالجرجاني يرى أن للتقديم والتأخير فائدة في الكشف عن كل ما هو مخبأ ليكشف عن أسمى معانيه ودلالاته.

(1) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت 471هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ط3، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، 1992م، ص106.

(2) نفسه، ص108.

(3) ينظر: عنبر، عبد الله، نظرية النظم عند العرب في ضوء مناهج التحليل اللساني الحديث، رسالة الدكتوراه، الجامعة الأردنية، 1991م، ص123.

كما دعا إلى التأمل في بعدي التقديم والتأخير، وطلب ألا نقف على دواعي الأهمية وحدها، وأشار أن هذا الأمر أفسد مفهومه والغاية الحقيقية منه فأصبح صغيراً في نفوس العرب، إذ قال في ذلك: "وقد وَقَعَ في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال: "إنه قُدِّم للعناية، ولأنَّ ذُكْرَهُ أَهْمٌ"، مِنْ غير أن يُذَكَّرَ، مِنْ أين كانت تلك العناية؟ وبِمَ كَانَ أَهْمٌ؟ ولتخيّلهم ذلك، قد صَغُرَ أمرُ "التقديم والتأخير" في نفوسهم، وهَوَّنُوا الخَطْبَ فيه، حتى إنك لَتَرَى أَكْثَرَهُمْ يَرَى تَتَبُعَهُ والنظَرُ فيه ضرباً من التكلُّف، ولم ترَ ظناً أزرى على صاحبه من هذا وشبهه"<sup>(1)</sup> فقد وضح أن الأهمية وحدها لا تفسر سبب التقديم أو التأخير، ولا تكشف قيم الجمال، فهناك ما يقف خلف الأهمية له دلالاته بمقدار قدرة المتأمل في البحث عن أسرارها الكامنة.

وقد كان معيارياً في رأيه حول هذه القضية؛ لأنه يرى "أنه من الخطأ أن يقسم الأمر في تقديم الشيء، وتأخيره قسمين فيجعل مفيداً في بعض الكلام وغير مفيد في بعض"<sup>(2)</sup> لذلك كان التقديم عنده يقع في قسمين هما:<sup>(3)</sup>

- تقديم على نية التأخير: كتقديم الخبر على المبتدأ، والمفعول على الفاعل كقولك: منطلقٌ زيدٌ، وضربٌ عمراً زيدٌ، فالخبر هنا لم يتغير في حركته الإعرابية بالرغم من تغيير موقعه، وكذلك المفعول به لم يتغير حكمه ولا حركته بالرغم من تقدمه على الفاعل.
- تقديم لا على نية التأخير: أي لا مانع من تقديم أي من اللفظين اللذين يحتملان أن يكون الواحد منهما مبتدأً أو خبراً يؤدي إلى تغيير في الحكم الإعرابي بين هذين اللفظين، فجملة المنطلق زيد تختلف في حكمها الإعرابي عن زيد المنطلق.

و كثيرا ما نجده يقدم لفظاً ويؤخر أخرى في كتابه دلائل الإعجاز في سبيل بيان معنى هذه اللفظة إلى جانب غيرها من الألفاظ. وقد تحدث عن ذلك أحمد دهمان في كتابه أن الجرجاني كان يرصد العلاقات بين الألفاظ المتقدمة والمتأخرة بغية توضيح الصورة الكلية للسياق ومدى تأثره بالعلاقة اللغوية<sup>(4)</sup>، ودليل ذلك ما تناوله حول الآية الكريمة، قال تعالى: "أَلرِّمِّمُّوْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُوْنَ"<sup>(5)</sup> وهذه الآية على لسان سيدنا نوح عليه السلام، إذ كان يحاور قومه في تصديق نبوته، وقد قال الجرجاني فيها: "ومثله أن يطمع طامعٌ في أمر لا يكون مثله، فتجَهَّلَه في طمعه فتقول: أيرضى عنك فلان وأنت مقيم على ما يكره؟ أتجد عنده ما تحب وقد فعلت وصنعت؟"<sup>(6)</sup>.

وقيل في تفسير هذه الآية "إن سيدنا نوح -عليه السلام- لا يقدر على إلزامهم بالنبوة، وسبب ذلك أن الحجّة عميت عليهم، فلو تركوا العناد والحجاج لعرفوا الصواب"<sup>(7)</sup> وقال الجرجاني في هذه الآية أن سبب تقديم فعل المضارع مع الهمزة أفاد الإنكار<sup>(8)</sup>، فتقديم الفعل المضارع قد ترك أثراً واضحاً في فهم المعنى أكثر من تأخيره؛ فقد

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص108.

(2) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص110.

(3) ينظر: نفسه، ص106.

(4) ينظر: دهمان، أحمد، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، ط1، دار طلاس، دمشق، 1986، ص396.

(5) سورة هود: آية 28.

(6) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص117.

(7) فخر الدين الرازي محمد بن عمر (ت 606هـ)، التفسير الكبير، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 17، ص338.

(8) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص117-118.

أفاد هذا التقديم وضوح الآية بأنهم أنكروا نبوته لما قدموه من حجج، فجاء ردّ سيدنا نوح -عليه السلام- بهذه الصورة كونه كاشف ما في صدورهم.

وقد وضّح ذلك محمد قاسم في كتابه علوم البلاغة "بأن النبي نوح كان رافضاً بأن يلزم أهل قومه بالإكراه وهم جاحدون له، فهذه الهمزة في أنلزمومكموها دلّت على خروج الاستفهام عن معنى الطلب إلى معنى استنكار أي وقوع ما هو استفهام عنه في الظاهر"<sup>(1)</sup> ولأن الاستفهام الاستنكاري يأتي عندما تستفهم عن شيء لا يصح أن يكون. ولأن أهل قوم نوح أبدوا موقفهم في رفض هذه النبوة، كان الأثر النفسي يلتزم على هذه الآية بتقديم الفعل مع الهمزة؛ لتكشف أن سيدنا نوح يعلم ما في نفوسهم وردهم حول ذلك، فهذا التقديم والتأخير أكسب الآية السابقة جمالية بيّنت أنّ هناك أسباباً تسمح بتبديل الألفاظ لإيصال المعنى لأقرب صورة من صور بلاغته، فكان السبب هنا نفسياً. فالبناء الجديد للنص من خلال التقديم والتأخير بين الألفاظ وتغيير اتجاه الكلمات وترتيبها، يكسب النص دلالات جديدة، تزيد من قوة المعنى وفصاحته، وترتيب الألفاظ وفق حاجة المتكلم وعدم تقييدها بشروط معينة تُعد من أهم خصائص العربية وبيان أثر مرونتها، بشرط أن يكون الترتيب محافظاً على المعنى.

وهذا ما كان يسعى إليه أهل العربية حتى يصلوا إلى أعلى درجات الفصاحة، إذ يقول الزركشي في ذلك: "هُوَ أَحَدُ أَسَالِيبِ الْبَلَاغَةِ فَإِنَّهُمْ أَتَوْا بِهِ دَلَالََةً عَلَى تَمَكُّنِهِمْ فِي الْفَصَاحَةِ وَمَلَكَتِهِمْ فِي الْكَلَامِ وَأَنْقِيَادِهِ لَهُمْ، وَلَهُ فِي الْقُلُوبِ أَحْسَنُ مَوْجِعٍ وَأَعْدَبُ مَذَاقٍ"<sup>(2)</sup>. فالغاية عند العرب أن تجلس كل لفظة في المكان الذي يزيد بها بلاغة فتعطي أعذب مذاق، وليس المكان المعتاد عليه دون البحث في نظمها.

فحال النص من تغيرات وتبديلات تعتمد في مراعاة لحالة المتكلم حسب مقصده النفسي. ويحضرني قول الجرجاني هنا تأكيداً على ما سبق عندما قال: "(قتل الخارجي زيد) حيث قدموا المفعول به الخارجي على الفاعل زيد لأن المتكلم راعى حال المخاطب الذي ينتظر قتل الخارجي ولا يهمله من القاتل، وأما في قول القائل: (قتل زيد رجلاً) فإن الفاعل زيد قدم عن المفعول به رجلاً لأن المتكلم راعى حال المخاطب وذلك لأن المخاطب لا يتوقع هذا الفعل من زيد"<sup>(3)</sup>. فتقديم الفاعل على المفعول به أو العكس تعود لحاجة المتكلم عمّا يبحث عنه في نفسه أولاً، ثم في نفس المتلقي وما يحتاج معرفته ثانياً.

ففي السياق السابق بدّل الجرجاني بين اللفظين: الخارجي وزيد حسب حالة المخاطب وفضوله، فهنا لا نستطيع أن نقول أنّ الأهمية هي من قدمت أو أخرت، بل كانت حاجة المتلقي وما يبحث عنه في فكره هي من دفعت المتكلم للتقديم والتأخير وتغيير مواقع عناصر الجملة. فمن خلال ما سبق يتبيّن أن الجرجاني ترك رسالة لكل مبصر في هذه الظاهرة مفادها أنّ مسألة التقديم والتأخير لا تقتصر على الأهمية فقط، فهناك عوامل أخرى ساهمت في ذلك، وإن كانت للأهمية فقط فأين البلاغة والفصاحة فيها؟

(1) قاسم، محمد أحمد، كتاب علوم البلاغة (البدیع والبيان والمعاني)، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2003م، ص297.

(2) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل، ط3، دار إحياء الكتب العربية، 1957م، ص233.

(3) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص108.

ويمكننا القول هنا أن الجرجاني خالف أكثر اللغويين الذين كانوا يخصصون التقديم والتأخير في خانة الأهمية فقط، فقد تبين أن هناك أسباباً قد تكون عند المتكلم أو المتلقي أو كليهما، وقد أشارت لذلك بوضوح في بحثها عن التقديم والتأخير، إذ قالت: "المعنى مرتبط غالباً بما يعنيه المتكلم باعتباره منتجاً للخطاب"<sup>(1)</sup> وهذا يعتمد على حالة المتكلم النفسية، فلا مانع إذن من إعادة ترتيب الموقع المكاني للكلمة إن كان ذلك سيزيد من بلاغتها، وتلبي حاجة المتكلم.

فالتقديم والتأخير في نظره من الأساليب المميزة البارزة في العربية؛ لأن أي تغير يحصل في موقع الألفاظ المتعارف عليه يكون بسبب المعنى المراد الذي أراده المتكلم. فالجرجاني أراد أن يوصلنا إلى أن كل تغيير في ترتيب ألفاظ الجمل له غرضه المعنوي، وقد رفض فكرة أن التقديم أو التأخير يعودان للأهمية فقط، ولو كان كذلك؛ لأصبح أسلوباً باهتاً لا لون فيه، ولن تجد له طعماً يغذي الروح.

فتبين منهج عبد القاهر الجرجاني في حديثه حول التقديم والتأخير، أن هناك أغراضاً بلاغية تدور حول هذه القضية، فالجرجاني تناول هذا الباب من جهة علمية تتبع من التنويه حول المقدم والمؤخر.

### العامل النفسي في التقديم والتأخير عند الجرجاني

اتبع الجرجاني منهجاً واضحاً في باب التقديم والتأخير، كشف فيه عن العامل النفسي ودوره في ترتيب ألفاظ المتكلم، إذ كان يجري الكثير من التبديلات بين الألفاظ موضحاً أثرها على النص من قبل ومن بعد، وهذه التبديلات تمثل شكلاً من أشكال الانزياح في الجمل العربية وخروجاً عن المألوف من حيث تقديم رتبة لفظ على أخرى فلا يحتمل الأمر إلا ما يجب ذكره وفق تقبل النفس له.

إذ قال الجرجاني فيما يؤكد على أن للنفس لها دوراً في الدرس النحوي: "واعلم أنه إذا كان بيتاً في الشيء أنه لا يحتمل إلا الوجه الذي هو عليه حتى لا يُشكَل، وحتى لا يُحتاج في العلم بأن ذلك حقه وأنه الصواب، إلى فكرٍ ورويةٍ فلا مزية، وإنما تكون المزية ويجب الفضل إذا احتمل في ظاهر الحال غير الوجه الذي جاء عليه وجهاً آخر، ثم رأيت النفس تنبو عن ذلك الوجه الآخر، ورأيت للذي جاء عليه حسناً وقبولاً تعدمهما إذا أنت تركته إلى الثاني"<sup>(2)</sup>.

ولعل هذا النص كشف للباحثة أن الجرجاني يجعل من النفس وتقبلها للكلام بتغيير موقعه ميزاناً للرفض والقبول، فقد سلط الضوء في هذا الجانب على الأثر النفسي ودوره في ترابط الألفاظ ودلالاتها.

التمست الباحثة أن الجرجاني سار في هذا الباب في اتجاهين مترابطين:

- اتجاه تركيبية: أورد فيه شكل التركيب اللغوي أو حقيقة نظمه وما يتناسب مع المعنى المطلوب.
- اتجاه نفسي: أشار فيه أن الانزياح التركيبي يعود لعامل نفسي عند المتكلم أو المتلقي.

وهذان الاتجاهان عند الجرجاني يتفاعلان في تحديد موقع الألفاظ في بناء النص وفق أفكار المتكلم وحالته النفسية، وقد تمثل ذلك في صور متعددة أشارت إليها الباحثة وهي كالاتي:

(1) بوضوح، سورية، مقاصد التقديم والتأخير في دلائل الإعجاز، مجلة جامعة محمد خيضر بسكرة، 2014، ص 87.

(2) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 286.

## 1- الاسم والفعل:

ومثال حول أثر النفس ودورها في تحديد موقع الألفاظ في النصوص، ما ذكره الجرجاني في تقديم الاسم على الفعل في قوله: "ولكن على أنك أردت أن تُحَقِّقَ على السامع أنه قد فعل، وتمنعه من الشك، فأنت ذلك تبدأ بذكره، وتوقعه أولاً ومن قبل أن تذكر الفعل في نفسه، لكي تُباعدَه بذلك من الشبهة، وتمنعه من الإنكار، أو من أن يُظنَّ بك الغلط أو التزيُّد. ومثاله قولك: "هو يعطي الجزيل"، و"هو يُحبُّ الثناء"، لا تُريد أن تزعم أنه ليس هنا مَنْ يُعطي الجزيل ويُحبُّ الثناء غيره، ولا أن تُعرِّضَ بإنسانٍ وتحطُّه عنه، وتجعله لا يُعطي كما يُعطي، ولا يَرغبُ كما يَرغب، ولكنك تريد أن تُحَقِّقَ على السامع أن إعطاءَ الجزيل وحبَّ الثناء دأبه، وأن تُمكنَ ذلك في نفسه"<sup>(1)</sup>.

فتقديم الاسم على الفعل يأتي في حالة تعزيز صاحب هذا الاسم والحديث عن سجاياه، فيأتي المتكلم بالاسم أولاً حتى يقع في قلب السامع وأذنه، ثم يحضر الفعل المراد ذكره؛ ليقصر عليه صفة هذا الفعل له وحده فقط، ويعود هذا لمكانة صاحب الاسم في نفس المتكلم.

ويتمثل ذلك كالآتي:

اسم + فعل = إثبات أن صاحب الاسم وحده من يتعلق بالفعل.

فيوضح الجرجاني هنا أن العامل النفسي في إثبات حدوث الفعل عند المتكلم والسامع، أُجبر المتكلم على اللعب في التقديم والتأخير ليوصل للسامع قصده وغايته، ولإزالة الشك حول القيام بهذا الفعل وتحقيق أمره كان لابد أن يبدأ القائل بالاسم أو ما ينوب عنه، فالغاية هنا تأكيد وإزالة الشك من قبل المتكلم.

ولو كان بخلاف ما سبق لتغيّر المعنى المطلوب، وقال الجرجاني حول ذلك: "فإذا أُخبرت بالخروج مثلاً عن رجل من عادته أن يخرج في كل غداة قلت: قد خرج، ولم تحتج إلى أن تقول: هو قد خرج، ذاك لأنه ليس بشيء يشك فيه السامع، فتحتاج إلى أن تحقق، إلى أن تقدم فيه ذكر المحدث عنه"<sup>(2)</sup>، فتقديم الاسم على الفعل يريح نفس المتلقي فلا تجعله يشك في أمر ما قيل.

فبالرغم من أن العربية تسعى دائماً للحفاظ على رتبة الكلام المعروفة في قواعدها، إلا أنها لا تغير في موقع أحدها إلا إذا كان هذا التغيير يخدم المعنى ويحقق القصد وفق قواعد معينة. فتقديم الاسم على الفعل هنا ساهم في تحديد المعنى حول صاحبه لتأكيد ما يقع فيه الشك.

و إذا كانت صيغة الفعل في الاستفهام في الماضي؛ كانت غاية المتكلم أنه يشك في فاعل هذا الفعل في نفسه، وتكون حاجته في إقرار المسؤول إن فعل ذلك أم لا، وقد وضح الجرجاني ذلك من خلال قوله تعالى: "أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَا يَا إِبْرَاهِيمَ"<sup>(3)</sup>، فالمتكلم في هذه الآية يجهل الفاعل ويشك فيه وغرضه من الاستفهام وبعده اسم وبعده فعل ماضٍ، هو أن يقر المخاطب بأنه الفاعل لا شك في الفعل لأنه ما كثر أو حاصل أمامهم<sup>(4)</sup>.

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 128-129.

(2) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 135.

(3) سورة الأنبياء، ص 62.

(4) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 113.

ففي الاستفهام الحقيقي يساعد التقديم والتأخير في سرعة تلقي السامع وإجابة على السؤال، فالمقدم هو المشكوك فيه في نفس القائل فعندما يقدم الفعل يكون غاية الاستفهام هنا معرفة إن كان هذا الفعل حصل أم لم يحصل، وإن قدّم السائل الاسم تكون غاية الاستفهام حول قيامه بالفعل.

وقيل في التقديم والتأخير: "إذا ما تغير شكل العبارة فقدمنا ما كنا أخرناه، ظهر لنا معنى جديد، وبدا لنا الفرق في المعنى بين العبارتين واختلاف العلاقات في التركيب يؤدي إلى اختلاف المعنى"<sup>(1)</sup>، أي أن المتكلم يتصرف في ترتيب الألفاظ تبعاً للمعنى الجديد الذي تكمنه العبارة، وهنا كان العامل النفسي في المرصاد، فلو لم يكن صاحب الاسم الذي جاء قبل الفعل له مكانة في نفس المتكلم؛ لما قدّم المتكلم الاسم على الفعل، والمطلوب أن يعبر عنه بعد أن تنتظم كل لفظة مع أختها فتأخذ منها وتعطي حتى يستقيم السياق.

## 2- الاستفهام:

كان للاستفهام مكانة في باب التقديم والتأخير من ناحية إثبات أن النفس هي من تتحكم بتقديم الاسم على الفعل أو تأخيره، وكشف الجرجاني عن ذلك عندما قال: "إذا قلت: أفعَلت؟ فبدأت بالفعل، كان الشك في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده. وإذا قلت: أنت فعلت؟ فبدأت بالاسم، كان الشك في الفاعل من هو، وكان التردد فيه. ومثال ذلك أنك تقول: أبنيت الدار التي كنت على أن تبنيها؟"<sup>(2)</sup>

ويبدو أن العامل الذي ساعد على تقديم الفعل أو تأخيره حاجة السائل في نفسه من تأكيد أو إنكار حتى يثبت المعلومة لديه. فأمر التقديم والتأخير لا يعتمد ميول المتكلم، بل هو نظام مرتب له دلائله وخصائصه يلجأ إليه الشخص لتوفير ما يحتاجه من أجوبة مريحة للنفس والفكر.

فمن خلال النص السابق يكشف الجرجاني أن التبدل بين الاسم والفعل وتقديم أحدهما على الآخر يحدث إشكالية عند المتلقي إن لم يكن على دراية في أساليب التقديم والتأخير، فعندما تشك في الفعل المفتعل تكون صيغة السؤال مختلفة عن الشك في فاعل الفعل نفسه، وهذه صيغة يحددها المتكلم حسب حاجته أو ما يريد الاستفهام عنه، فالنفس هنا هي العامل التي قدمت الفعل أو أخرته حسب المشكوك فيه.

وبعد أن كشف لنا الجرجاني أن في القول السابق فرقا في الترتيب والتركيب، وأنه يعود للحالة النفسية عند المتكلم، اختصرت الباحثة ذلك بهذه العملية الحسابية وفي تقديم الضمير على الفعل حسب رؤية الجرجاني كما يأتي:

### 1- همزة الاستفهام + ضمير = البحث عن الفاعل.

ففي المسألة الأولى يكون المتكلم أو السائل في ضياع حول أمر الفاعل أو من قام بالفعل؛ لذلك قدّم الاسم لأنه محور البحث.

### 2- همزة الاستفهام + فعل = البحث في وقوع الفعل وإتمامه أم لا.

المسألة الثانية يكون المتكلم في حالة شك حول إتمام الفعل أم لا؛ لذلك قدّم الفعل لأنه محور البحث هنا.

(1) ناصف، مصطفى، الصورة الأدبية، ط3، دار الأندلس، بيروت، 1983م، ص11.

(2) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص111.



فترتيب الاسم أو الفعل بعد الاستفهام يعود لما تبحث عنه نفس المتكلم؛ لأنه يريد إشباع فضوله حول ما تحتاجه نفسه من تثبيت المعلومة، فتراه يراوح بين الاسم والفعل بعد الاستفهام حسب حاجته.

وقد أكد ما سبق خليفة بوجادي في كتابه اللسانيات التداولية مبينا أن المرسل أو ما يحتاجه المرسل في إشباع فضوله في سؤاله هو العامل الأساسي الذي يحدد آلية الخطاب في تحديد المعنى، ولأن المتكلم أو السائل هو من ينتج الخطاب أولاً، فهو الذي يستطيع تحديد الدلالات والمقاصد، فأى معنى يتلفظ به هذا الشخص مرهون بقصده وحاجته فهو أساس فهم المعنى والدلالة عند الطرف الآخر أي المتلقي أو المجيب<sup>(1)</sup>.

فالتقديم والتأخير بعد الاستفهام من المظاهر المهمة التي تدل على مرونة العربية أولاً وعلى أثر النفس في تحديد المعنى المقصود إذا تغير المكان، فيستطيع الكاتب أو المتكلم أن يتصرف بترتيب الألفاظ داخل النص وفق ما يخدم المعنى ويتلاءم مع الفكرة.

وهذا لا يعني أن الأمر مباح بشكله العام وعشوائيته المطلقة، إنما هو محصور ضمن طرق متقننة مصطحباً معه بلاغة في ترتيب، وفصاحة في النظم، فالأمر يكمن في تبديل مواقع الألفاظ بين تقديم وتأخير مع الحفاظ على القاعدة النحوية في رتبة اللفظ.

فالمتكلم يتحدث بعبارات منظمة ترتبط ألفاظها فيما بينها بعلاقات متينة تستطيع أن توصل الفكرة للمتلقي دون حرج في ذلك، فتبرز قيمة الألفاظ بمدى تلاؤمها مع غيرها في النص الواحد.

### 3- النفي:

ويبدو أن أسلوب النفي كان له جمالية في تخصيص دلالة جديدة في التقديم والتأخير، فكان الأثر النفسي جلياً فيما ضربه الجرجاني من أمثلة في كتابه. وقال الجرجاني في النفي: "إذا قلت: ما فعلت، كنت نقيت عنك فعلاً لم يثبت أنه مفعولٌ وإذا قلت: ما أنا فعلت، كنت نقيت عنك فعلاً يثبت أنه مفعول. وإذا قلت: ما أنا قلت هذا، كنت نقيت أن تكون القائل له، وكانت المناظرة في شيء ثبت أنه مقول. وكذلك إذا قلت: ما ضربت زيداً، كنت نقيت عنك ضربيه، ولم يجب أن يكون قد ضرب، بل يجوز أن يكون ضربه غيرك، وأن لا يكون قد ضرب أصلاً. وإذا قلت: ما أنا ضربت زيداً، لم تقله إلا وزيدٌ مضروبٌ، وكان القصد أن تنفي أن تكون أنت الضارب"<sup>(2)</sup>. فترتيب الاسم والفعل بعد النفي يعود لمقصد المتكلم وحاجته النفسية، فإن قدم الاسم أراد أن يبعد الشبهة عنه، وإن قدم الفعل تكون حاجة المتكلم إنكار حدوث الفعل.

وقد أحضر الجرجاني مثالا حيا يوضح ذلك في بيت للمتنبى، الذي اكتشف فيه أن تقديم الضمير (أنا) على الفعل في أسلوب النفي ساهم في إسقاط التهم عنه، وهو:

و ما أنا أسقمت جسمي به  
ولا أنا أضرمت في القلب ناراً<sup>(3)</sup>

(1) ينظر: بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ط1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العملة، الجزائر، 2009م، ص163.

(2) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص124.

(3) المتنبى، أحمد بن الحسين الكندي (ت 354هـ)، ديوان المتنبى، شرح عبد الرحمن البرقوقي، ط2، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1938م، ص28.

فشاعر كالممتنبي لا ينظم شعره إلا إذا كان مدركاً بموقع كل كلمة، فلا بد أن يكون قد نظم العبارة تبعاً لقصده في نفسه، فهو عارف باللغة وأسرارها، والجرجاني عالم في اللغة، وناقد متذوق للعربية عارف بأساليبها المختلفة فجاء وحل هذا النص نفسياً، إذ قال: "المعنى كما لا يخفى على أن السقم ثابت موجود، وليس القصد بالنفي إليه، ولكن إلى أن يكون هو الجالب له، ويكون قد جره إلى نفسه"<sup>(1)</sup>.

وقد قالت بوصوار صورية في بحثها حول مقاصد التقديم والتأخير في دلائل الإعجاز حول ذلك: "إذا كان الغرض هو نفي فعل لم يثبت أنه مفعول، جعل الفعل بعد ما النافية، نحو ما فعلت، أما إذا كان غرضه هو نفي أن يكون فاعل الفعل الذي ثبت أنه مفعول جعل الاسم أو الضمير بعد أداة النفي نحو ما أنا فعلت"<sup>(2)</sup>، أي أن التقديم والتأخير هنا نابع من نفس المتكلم وما يحتاج أن ينفيه، فلو أراد المتكلم أن ينفي الاسم لجاء بعد النفي مباشرة، ولو أراد نفي الفعل لاختلف موقع الاسم في الجملة فيتأخر ويتقدم عليه الفعل.

وربما أن تقديم النفس على الفعل في عجز البيت كان كافياً ليوضح معاناة الممتنبي وحالته النفسية، فعندما نظم الضمير المنفصل (أنا) بعد لا النافية، وكأنه يحاول في تقديم (أنا) على الفعل جذب انتباه المخاطب سيف الدولة، وبذلك قد تتحقق براءة نفسه من هذا السقم لنشعر باعتذاره أمام المخاطب طالبا منه الوقوف معه لا أن يتخلى عنه. فالممتنبي اهتم بعلاقة الألفاظ في شعره أكثر من موقع اللفظة والحركة المناسبة لها، وقد يعود ذلك إلى أن "النحو هو الركيزة التي تستند إليها الدلالة"<sup>(3)</sup>.

فالجرجاني في طبعه كان يربط بين كل نمط من الجمل وما تلتزمه دلالاتها من كلمات، فالسياق قد يختلف باختلاف العامل النفسي وحالة المتكلم أو المتلقي. ويمكننا أن نبين التقديم والتأخير مع النفي في عملية حسابية كالآتي:

ما النافية + أنا + الفعل = دفع الشك عن صاحب الأنا.

ما النافية + الفعل = الشك في وقوع الفعل.

ويبدو أن الباحثة قد بينت من الأمثلة السابقة ما يدل على أن تغيير مواضع الكلمات يعتمد أحياناً على الحالة النفسية عند المتكلم وفق تصور الجرجاني، وقد يعد هذا عاملاً من العوامل المؤثرة في التقديم والتأخير، وقد يكون العامل نفسياً خالصاً يعود لما يشعر به المتكلم في سياق الحديث.

#### 4- تقديم النكرة على الفعل:

ومن العوامل الأخرى التي كشفت عن العامل النفسي في تقديم لفظ أو تأخيره في حاجة السائل هو تقديم النكرة على الفعل بعد همزة الاستفهام. فذكر الجرجاني حول ذلك: "إذا قلت: أجاك رجل؟ فأنت تريد أن تسأله هل كان مجيء من واحد من الرجال إليه، فإن قدمت الاسم قلت: أرجل جاءك؟ فأنت تسأله عن جنس من جاءه، أرجل هو أم امرأة؟ ويكون هذا منك إذا كنت علمت أنه قد أتاه آت، ولكنت لم تعلم جنس ذلك الآتي، فسبيلك في ذلك سبيلك إذا أردت أن تعرف عين الآتي قلت: أزيد جاءك أم عمرو؟"<sup>(4)</sup>، فإن كانت غاية السائل في نفسه البحث عن حقيقة الفعل ويتحرى حول وقوع الفعل، لما تقدمت النكرة على الفعل، وإن تقدمت النكرة على الفعل بعد الاستفهام كانت

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص125.

(2) بوصوار، مقاصد التقديم والتأخير في دلائل الإعجاز، ص94.

(3) كوهن، جان، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي و محمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986م، ص178.

(4) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص142.

حاجة السائل في البحث حول الفاعل وإنكارهم له، وقد وضح الجرجاني ذلك من قوله تعالى: "أَبَشْرًا مِّنَّا وَاجِدًا نَّبِيَّهُ"<sup>(1)</sup>، فكان الإنكار والشك في أن يكون بشر مثلهم من أن يتبع، فهذه الآية جاءت على لسان أهل ثمود، منكرين ما جاء به نبيهم، فتقديم كلمة "بشرا" والتي موقعها الإعرابي مفعول به على الفاعل والفعل زاد من النص تقنناً وجمالية لتكون سببا في كشف الحالة النفسية عندهم.

وقيل حول الآية السابقة: "قالوا بشرا إنكارا لأن يتبعوا مثلهم في الجنسية، وطلبوا أن يكون من جنس أعلى من جنس البشر، وهم الملائكة، وقالوا: منا لأنه إذا كان منهم كانت المماثلة أقوى، وقالوا: واحدا إنكارا لأن تتبع الأمة رجلا واحدا، أو أردوا واحدا من أفنائهم ليس بأشرفهم وأفضلهم"<sup>(2)</sup>.

فتقديم كلمة "بشرا" مع تكبيرها يدل على استعلائهم على النبي صالح عليه السلام، كما أن فيها نوعا من الاستهزاء، فالعامل النفسي هنا لعب دورا عند أهل ثمود بتقديم المفعول به وتأخير الفعل والفاعل.

ونختصر ما سبق في هذه العملية الحسابية:

**نكرة + فعل = الاستهزاء .**

وقد لا يتحقق ما نرجوه من التقديم والتأخير ما لم يحدث فارقا نتيجة تقديم كلمة أو تأخيرها، فالتقديم والتأخير من الأساليب المستخدمة بكثرة في العربية ولا يستطيع الاستفادة منه إلا من هضمه، وعرف مضامينه وأبعاده، لأن نظم النص مع حسن التأليف يعطي قيمة نفيسة للكلام فيصبح النص أكثر فاعلية في إثارة المتلقي، فإذا ما تميز المبدع بذلك، فأحسن في الاختيار، ووضع الألفاظ مواضعها، يكون بذلك قد أسهم في زيادة قيمة النص وإعطائه الأبعاد النفسية اللازمة في التأثير ونقل التجربة الشعورية<sup>(3)</sup>. فالعوامل النفسية المتعددة في رفض قوم ثمود لنبيهم أسعفت في تقديم "بشرا"، وهي نكرة وموقعها الإعرابي مفعول به في الآية الكريمة السابقة على غيرها من الكلمات؛ فساعد في توضيح المعنى والكشف عن الأحاسيس والمشاعر، ولعل تغير ترتيبها قدم معنى نفسيا ذا دلالة جديدة خالفت المراد في الغالب.

فالتقديم والتأخير بين النكرة والفعل أزال الشك في نفس السائل حول معرفة القادم أو بيان جنسه، ولولا هذا التزعزع الذي يحدث في نفس البشر حول فهم ما يقال؛ لما كان للتقديم والتأخير دور في إشباع هذه التفسير بما يجول فيها من تفكر، فالجرجاني لم يقف على حكم النكرة و تقدمها في الجمل العربية إنما ذهب ليكشف الغرض من ذلك ولإبانة عن وجهة هذا التقديم.

وقد أنهى الجرجاني هذا الباب بحديثه عما جاء به سيبويه مراعيًا أنه لا يخالف أحدا من النحويين، إنما يبين ويوضح، إذ قال: "إذا اعتبرت ما قدمته من قول صاحب الكتاب: "إنما قلت: عبد الله فنبتته له، ثم بنيت عليه الفعل"، وجدته يطابق هذا. وذلك أن التنبيه لا يكون إلا على معلوم، كما أن قصر الفعل لا يكون إلا على معلوم، فإذا بدأت بالنكرة فقلت: رجلاً، وأنت لا تقصد بها الجنس، وأن تعلم السامع أن الذي أردت بالحديث رجلاً لا امرأة،

(1) سورة القمر، آية 24.

(2) الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد أبو القاسم (ت 683هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ، ج4، ص437.

(3) ينظر: ناجي، مجيد عبد الحميد، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ط1، المؤسسة الجامعية، بيروت، 1984م، ص84-86.

كان مُحالاً أن تقول: إني قَدَّمْتُه لأُنبِّهَ المُخاطَبَ له، لأنه يَخْرُجُ بك إلى أن تقول: إني أردتُ أن أنبه السامعَ لشيءٍ لا يعلمه في جملةٍ ولا تفصيلٍ. وذلك ما لا يُشكُّ في استحالتها، فاعرفه<sup>(1)</sup>.

وقد أشار لذلك داود عبده في أن ترتيب الكلمات في الجملة بين تقديم وتأخير، هو الذي يتحكم في بيان المعنى المراد لا الحركات، فالفرق في المعنى بين "الرجل أعاد الكتاب إلى الولد" و"الولد أعاد الكتاب إلى الرجل" مثلاً يقرره موقع كل من الرجل والولد والكتاب، لا الحركات الأخيرة لهذه الكلمات، فالمعنى هو المسؤول عن وضع الحركة وليس العكس<sup>(2)</sup>.

فمجمَل القول أن التقديم والتأخير يخضع لعوامل خاصة بالمتكلم لإشباع فضوله، حيث يقدم المشكوك فيه في التراكيب اللغوية التي تسير وفق حاجات المرسل، فيظهر ذلك على مستوى التركيبي للمستخدم، وكثيراً ما يغير الكاتب مواقع الألفاظ نظراً لنفسيته وترقبه لما سيقول المتلقي، فنجد هنا أن العامل النفسي أو المؤثر النفسي الخارجي لعب دوراً مهماً في نظم النص مثل ما تبين في البيت الشعري للمتنبّي السابق، فبناءً على حالة صاحبه، وكان العامل النفسي هو السبب في تقديم الاسم على الفعل.

فالعَمَل الأدبي مثلاً هو ترجمة لما يختلج في صدر كاتبه فيلجأ للتعبير عن تجربته العاطفية أو النفسية التي مرّ بها. فيقول سيد قطب عن العمل الأدبي بشكله العام أنه التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية: "والتجربة الشعورية هي العنصر الذي يدفع إلى التعبير... والتعبير يشمل كل صورة لفظية ذات دلالة على تجربة شعورية... ولا يقصد به مجرد التعبير، بل يتجاوز ذلك إلى رسم صورة لفظية موحية مثيرة للانفعال الوجداني في نفوس الآخرين"<sup>(3)</sup>، فسيد قطب يشير إلى أن الكاتب لا يستطيع أن يفصل عمله الأدبي عن حالته النفسية.

فتقديم الألفاظ وتأخيرها حسب الحالة النفسية يعطي المعنى الذي أرادته المتكلم في حده الرفيع والمطلوب، وأي تغيير يحصل في ترتيب هذه الألفاظ قد يشكل خلافاً في المعنى إن لم يكن اللفظان متساويين في الترتيب في حالة المعرفة، ويعود ذلك إلى قصد المُخاطَب حول أمر ما، وفهم المُخاطَب وما يحتاجه لإيصال المعنى "فكان من العلماء أن بحثوا الأمر بحثاً فكرياً منطقياً دقيقاً، ناظرين إلى حال المخاطب، وما هو الأعراف لديه من ركني الإسناد اللذين هما من المعارف"<sup>(4)</sup>. ولعل الغاية من التقديم والتأخير بيان مقاصد المتكلم، فتراه يسعى لإفهام المستمع بأبسط الكلمات وأقل الألفاظ لأن خير الكلام ما قل ودل، فكلما كان الكلام قليلاً ويحمل في ثناياه المعاني الكثيرة كان أفضل من كثرة الكلام والإطالة دون فائدة.

وتبعاً لما سبق أوضح الجرجاني أنّ للنفس دوراً كبيراً في تقليب الألفاظ للوصول إلى المعنى المطلوب، فعندما يقدم المتكلم الفعل على الفاعل كأنه يحزر نفسه من أي قيود نحوية أو قاعدة إعرابية، لأن مبتغاه حينها البحث في المعنى الجديد الذي فعله هذا التقديم، ولعله أراد أن يقول إن التقديم والتأخير بين مواقع الألفاظ يعمل على تغيير

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 145.

(2) ينظر: عبده، داود، أبحاث في اللغة العربية، ط 1، مكتبة لبنان، بيروت، 1973م، ص 123.

(3) سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي (1385)، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ط 7، دار الشروق، القاهرة، 1993م، ص 11-12.

(4) الميداني، عبد الرحمن حسن، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ط 1، دار القلم، دمشق، 1996م، ص 356.

نظم العبارة بسبب العوامل النفسية عند المتكلم أو المتلقي، لنصل إلى أبلغ المعاني المرجوة فيها، ولم تكن هذه المعاني النحوية موجودة إلا إذا تم التبديل بين مواطن اللفظة.

وربما كان هدف الجرجاني من ذلك أن يثبت أن الكلام في أي نص كل متكامل لا يمكن فصله عن بعض، فلو أزلت كلمة من مكانها لوقع النص كما يقع البناء لضعفه وقلة تماسكه، فالعلاقة الداخلية لمكونات النص هي وحدها المسؤولة عن بلاغته وفصاحته.

فالتقديم والتأخير من أهم المباحث التي يركز عليها علم المعاني عند الجرجاني، لما له مكونات نفسيه كشفت أسرار هذا الأسلوب وخفاياه، فمن الطبيعي أن تجد اهتماما خاصا به من قبل البلاغيين وخاصة الجرجاني؛ لأن أي تغيير في أماكن الكلم في النصوص ينتج دلالات جديدة تختلف عن الدلالات المعتادة.

كما أن التقديم والتأخير أثبت من خلال هذا المبحث أنه آلية قوية يستعين بها المتكلم ليؤدي عملياته التواصلية مع من يسمعه باستجابة تامة، فالمتكلم عنده المقدرة في إنتاج الملفوظات التي يراعى فيها سياق الحديث، حتى يستطيع من خلاله أن يصل للإبلاغ المفيد الذي يحقق القصد من المعنى المطلوب.

ويبدو أنّ اهتمام الجرجاني بأسلوب التقديم والتأخير كونه من الأساليب البلاغية الموجودة بكثرة في القرآن الكريم، ومحاولة منه للبحث في كل ما هو مخالف للقاعدة، فقد ارتبطت العربية بالنحو ووضعت القوانين والأنظمة له، وأي اختلاف في ذلك من الطبيعي أن يثير فكر العلماء نحوه، فغايتة عندما بحث في هذه المسألة أن يوضحها ضمن استثناء مخالف عن رأي سابقه، ابتداء من الخروج عن القاعدة الأصلية، إلى كيفية ترتيب النص ضمن نص فصيح.

فكان يُنظر لمن يصاحب هذا الأسلوب في كتاباته على أنه شجاع قادر على التلاعب بترتيب الألفاظ دون الحاجة لتغيير المعنى إنما يزداد فصاحة "لأنها مظهر من مظاهر الشجاعة العربية؛ ففيها إقدام على مخالفة لقرينة من قرائن المعنى من غير خشية لبس، اعتمادا على قرائن أخرى، ووصولاً بالعبارة إلى دلالات وفوائد تجعلها عبارة راقية ذات رونق وجمال"<sup>(1)</sup> فهذه الظاهرة كانت وما زالت مقبولة في العربية طالما حافظت على الفكرة المطروحة، ولم تعق المعنى المراد.

وقد أشار إلى هذه الظاهرة كثير من النحاة الأوائل في كتبهم أمثال سيبويه عندما قال: "كأنهم إنّما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعينانهم"<sup>(2)</sup>، وإن كانت هذه العبارة تخص تقديم الفاعل أو المفعول به، إلا أنها كشفت عن قبول فكرة التقديم والتأخير في العربية إن لم يكن له ضرر عند إصابة المعنى المطلوب.

(1) الشاعر، صالح، ظاهرة التقديم والتأخير في النحو العربي، مقال إلكتروني، ينظر: salihalshair.jeeran.co

(2) سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180هـ)، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م، ج1، ص34.

فسبويه - فيما ذكره سابقا - صبَّ اهتمامه حول سلامة العربية وكيفية تركيبها، ولم يخرج للبحث عن الأسباب الفنية التي دعت لتقديم هذا وتأخير ذلك، ولكن تلميحه حول هذه المسألة كان كافيا على تقبل ظاهرة التقديم والتأخير في العربية.

فالتقديم والتأخير له دلالات مختلفة تؤثر على فهم المعنى حسب الحالة النفسية. فعندما يتبع الباحث نهج التقديم والتأخير في كتاب الجرجاني يجده مرتبطا بحالات نفسية يُعبر عنها بالجمل الصادرة من المتكلم، وكأنه يرتب كلمات الجمل ويتصرف بها تبعا لحالة المتكلم النفسية المتذبذبة، أو ما يطريه العقل من مزاجات متعددة كالحزن أو الفرح أو الكره أو المحبة.

وفي نهاية هذا المبحث نشير إلى أن موضوع التقديم والتأخير من أهم الموضوعات التي تناولها النحاة في مختلف الأزمان بالتحليل والتفسير؛ لأنه يعد من الشجاعة والقوة عند بعض المؤلفين في خروجهم عن المألوف الذي اعتادت عليها العربية في تراكيبها، ولكن هذا الخروج لم يكن عبثا متخبطا، إنما كان ما يبرره أسباب اقتضت في مقامات التعبير والحديث والسياق بشكلها العام.

## الخاتمة

- وبعد دراسة جزئية التقديم والتأخير في كتاب دلائل الإعجاز للجرجاني؛ وصلت الباحثة إلى أن:
- التقديم والتأخير في منظور الجرجاني يعود لعامل نفسي عند المتكلم وليس فقط للأهمية.
  - ما يذكر بعد همزة الاستفهام يرتبط بالمعنى المراد إيصاله للمتلقى.
  - إثبات الاسم أو الفعل بعد النفي يعود لحالة المتكلم النفسية وحاجته.

## قائمة المصادر والمراجع

- بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العملة، الجزائر، ط1، 2009.
- بوضوار، صورية، مقاصد التقديم والتأخير في دلائل الإعجاز، مجلة جامعة محمد خيضر بسكرة، 2014.
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت 471هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ط3، 1992م.
- دهمان، أحمد، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، دار طلاس، دمشق، ط1، 1986م.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1957م.
- الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد أبو القاسم (ت 683هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.
- سبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180هـ) الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988.

- سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي (1385) النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، ط7، 1993م.
- الشاعر، صالح، ظاهرة التقديم والتأخير في النحو العربي، مقال الكتروني، [salihalshair.jeeran.co](http://salihalshair.jeeran.co)
- عبده، داود، أبحاث في اللغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1973م.
- عنبر، عبد الله، نظرية النظم عند العرب في ضوء مناهج التحليل اللساني الحديث، رسالة الدكتوراه، الجامعة الأردنية، 1991.
- فخر الدين الرازي، محمد بن عمر (ت 606هـ)، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، دت.
- قاسم، محمد أحمد، كتاب علوم البلاغة (البدیع والبيان والمعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط1، 2003م.
- كوهن، جان، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي و محمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986م.
- المتنبى، أحمد بن الحسين الكندي (ت 354هـ)، ديوان المتنبى، شرح عبد الرحمن البرقوقي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط2، 1938م.
- الميداني، عبد الرحمن حسن، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، ط1، 1996م.
- ناجي، مجيد عبد الحميد، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط1، 1984م.
- ناصف، مصطفى، الصورة الأدبية، دار الأندلس، بيروت، ط3، 1983م.